

ما بين جدار برلين وجدار غزة، هل ستتوقف الحرب؟

كما أن انهيار جدار برلين سيحدث انهيار جدار غزة نتائج استراتيجية كبرى، فكلاهما أثبتا بأن الجدران لا يمكن أن تكون معتقلاً دائماً للإنسان، فالروح عصيئة على العزل، والانعزال ليس من سمة البشر. وفيما شكّلت الفجوات في جدار برلين علامة حاسمة على انهيار الاتحاد السوفياتي، فإنّ تصدّع الجدار المحاصر لغزة، يُنبئ ببشارة قرب انهيار الكيان الإسرائيلي، خط الدفاع الأول للغرب الرأسمالي في هذا الشرق.

لمّا اخترق الألمان الشرقيون جدار برلين إنّما كانت قلوبهم تهفوا حياً نحو الجانب الغربي من ألمانيا، فالنموذج الألماني الرأسمالي استطاع أن يتغلّب على النموذج الاشتراكي من خلال حشد قواه الناعمة وتطهيرها بشكل جاذب للمواطن في المقلب الآخر من الحدود، في الثقافة والاقتصاد ونمط العيش، أكثر من استخدام القدرات العسكرية والأمنية.

بينما الفلسطينيون عندما اخترقوا الجدار العازل في غزة نحو الإسرائيلي على الجانب الآخر، إنّما بدافع الثأر والانتقام واسترجاع الأرض المسلوّبة، فقلوبهم مليئة بما أحدثه هذا الآخر من ظلم وقهر وإذلال، فالإسرائيليون - كيّاناً وشعباً - لم يكتفوا بأسلوبهم المتوحش المنفّر في السلاح والأمن والاقتصاد، بل راحوا يحطمون الانتماء الفلسطيني وشخصيته، إذ بات صاحب الأرض يقبع مرغماً في سجن كبير يضيق بأهله اسمه غزة. ويبقى من يسأل لماذا فعلوا ذلك في 7 أكتوبر؟

يوجد حقيقة ثابتة في تشكل الوعي والرأي العام، فهو يعطف على الضعيف، يُشفق عليه، ما يستدعي منه الإحسان وذرف الدموع، وفي أحسن التقديرات الهتاف في الشوارع وعلى الشاشات وعبر وسائل التواصل الاجتماعي، ولكن هذا الرأي العام يميل إلى القوي، وفي أسوء الحالات، يرضخ للظالم القوي ثم يبحث لنفسه عن مبررات.

لقد أدرك الإسرائيلي هذه الحقيقة، فهو يتكفّل بنشر ما يحدثه من آلام للفلسطينيين، وقاحة منه ورغبة بالإذلال، فمنذ أن احتل فلسطين، وهو يقتل ويدمّر ويهجّر ويحاصر بالعلن وليس بالسر، بل يدعو

الوكالات العالمية وحتى العربية بما فيها المعادية له، لتصور وتنشر كل أفعاله الإجرامية لأنّه يعتقد بأن ذلك يصب في تقوية صورته.

إنّ أهم ما فعله الشباب الغزاوي إدراكهم لهذه الحقيقة، بضرورة تحطيم صورة الجندي الإسرائيلي القوي أكثر من التركيز على إبراز مظلومية شعبهم الفلسطيني، وبهذا الشكل العنيف والقوي جداً الذي قاموا به، فمن خلال تحطيمهم للجدار العازل وقتلهم وأسرههم للجنود والمستوطنين وإظهار إذلالهم، إنّما حطموا هذه الصورة النمطية التي كرسها العدو طيلة عقود من الزمن، بأن قدره التفوق، وقدر الفلسطيني الهزيمة.

الآن، وقد استلم الأمريكي إدارة الحرب مباشرة بجبهاتها، العسكرية، والأمنية، والاقتصادية، والسياسية، والاعلامية، بهدف إيقافها والحد من التداعيات الاستراتيجية الكبرى التي بدأت تحدثها منذ اختراق الجدار العازل لغلاف غزة، إنّما، للأسباب التالية:

أولاً: لأنّ هذه الضربة التي تلقاها الجيش الإسرائيلي وأفقدته الوعي إنما جاءت على يد جهة هي الأضعف نسبياً ضمن محور المقاومة

ثانياً: لأنّ الفاعل هو الفلسطيني وعلى أرض فلسطين وبما يحفره ذلك، في وعي المواطن العربي والمسلم.

ثالثاً: لأنّ تدهور الحرب يعني وضع الدول العربية المطبوعة مع العدو، والتي في طور التطبيع العلني، في موقف محرج وخطير للغاية إن هي بقيت ساكته، ولم يجد الفلسطيني سنداً له إلاّ إيران والمحور المقاوم.

رابعاً: لأنّ اتساع دائرة الحرب نحو المحاور الأخرى للمقاومة، سوف يفرض على الأمريكي الانخراط أكثر في حرب لا يريدتها، ولا يُقدّر نتائجها، أضف لكونها تشغله عن مواجهة روسيا في أوكرانيا، وتبعده عن مخططة لمحاصرة الصين، عشية إعلان طريق الهند نحو أوروبا عبر الكيان الإسرائيلي وبشراكة عربية كبرى.

خامساً: لأنّ بلوغ الحرب نتائج كبرى يصير التسليم العملي بخيار الدولتين لحل القضية الفلسطينية أقل الأثمان، إن لم تفرض حلولاً أكثر إيلاماً على العدو.

سادساً: لأنّها قد تضطر الأمريكي بأن يخسر مفاعيل الضغوطات والحصار

على دول المحور الممتد من إيران حتى لبنان، وليس أقلها، التضحية
بـالجهات التابعة له في هذا المحور

تلك هي محفّزات الانخراط الأمريكي في مجريات الحرب، ولكن يبقى
السؤال، هل يستجيب المحور المقابل، وبأيّ الأثمان؟

أحمد الشامي

المصدر: موقع الخنادق